المصدر : الاهرام العربى
التاريخ : ٢٩ ابريل ٢٠٠٠

## القلق فى المخيمات والخوف فى لبنان من انتقام تدميرى

# الانسحاب الإسرائيلى يهدد بحرب شاملة

يقول دبلوماسى، رفيع المستوى، من دولة اسيوية كبرى فى زيارة قام بها أخيراً إلى لبنان ضمن جولة فى المنطقة توقعت أن أشهد فى لبنان أجواء فرح مع اقتراب الانسحاب الإسرائيلى، بعد سنوات الاحتلال الطويلة، وبعد التجارب القاسية، إلا أن ما رأيته ولمسته، هو أجواء قلق وخشية.

إلا أن الدبلوماسى نفسه، الذى عرف المنطقة منذ أكثر من ثلاثين عاماً، وشملت جولته الأخيرة مصر وإسرائيل وسوريا ولبنان، يتوقع أجواء بالغة التوتر فى الأشهر القليلة المقبلة، وذلك بحسب المباحثات التى أجراها مع المسئولين فى تلك الدول، مجيباً بذلك وإن بطريقة غير مباشرة عن تساؤلاته بالنسبة إلى لبنان.

■ بيروت ـ غسان مكحل

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

يبدو واضحاً أن أجواء القلق نتيجة توقف المسار السوري من المفاوضات والفشل الأخير في قمة جنيف بين الرئيسين الأمريكي بيل كلينتون والسوري حافظ الأسد والتهديدات الإسرائيلية باعتداء واسع النطاق والعودة إلى موضوع المقاومة الفلسطينية عبر الحدود اللبنانية وقضية اللاجئين والمخيمات، طغت بالكامل على أجواء الفرح الطبيعية، نتيجة اقتراب موعد الانسحاب الإسرائيلي وتحرير الأراضي اللبنانية، ذلك الهدف العزيز على قلوب اللبنانيين.

فبعد أن كان اللبنانيون، وبالأخص أهالي الجنوب، يعيشون أجواء من الأمل بإمكانية انتهاء الفصول الأخيرة من الأزمة اللبنانية، باضطرار إسرائيل إلى الانسحاب تحت ضربات عمليات المقاومة، إذ بملفات الحرب تعود للانفتاح وبأشباحها تحوم في أجواء لبنان مجدداً.

النقطة الأساسية الأولى هي شعور دمشق بأن مسألة الانسحاب من الجنوب ما هي إلا خطوة تكتيكية تستهدف الفصل بين المسارين اللبناني والسوري، وبالتالي السعي لعزل سوريا، إضافة إلى تخلص إسرائيل من نقطة الضغط الأساسية عليها في جنوب لبنان، التي تدفعها باتجاه السعي إلى تحقيق السلام مع سوريا ولبنان، خصوصاً أن نية إسرائيل في هذا المجال تبدو جلية في رفض الانسحاب من مرتفعات الجولان السورية المحتلة، تحت ذرائع متعددة.

يقول محلل لبناني إن المقاومة في جنوب لبنان، برغم أنها لبنانية بالكامل، إلا أنه ما كان يمكن أن تواصل وتنجح لولا الحماية السورية من الخلف ولولا الدعم السياسي وإمدادات السلاح، وغير ذلك من العناصر الضرورية. وبالتالي فإن دمشق شريك أساسي في هذه المقاومة، ما يعني بوضوح أن من حق سوريا أن تشارك في حصاد نتائج المقاومة، لا أن تتحول تلك النتائج إلى عبء سياسي مستقبلي عليها، كما تريد إسرائيل وربما الولايات المتحدة.

ويضيف أن التغير الاستراتيجي الخطير هو في الموقف الأمريكي الذي كان لسنوات يضغط في اتجاه أن يكون الوضع في الجنوب منطلقاً لحل على المسارين اللبناني والسوري، في حين أنه بات الآن يركز معه على إخراج إسرائيل من المأزق العسكري في جنوب لبنان من دون اهتمام كاف بدفع المسار السوري في المفاوضات.

ويقول إن دمشق تخشى أن يتبع ذلك الانسحاب الإسرائيلي في حال حدوثه، ضغط سياسي شديد باتجاه إجبارها على سحب قواتها من لبنان استناداً إلى قرارات دولية في هذا الشأن ومقررات مؤتمر الطائف، مما يعني وضع قضية الجولان في الثلاجة، إلى فترة طويلة، وأيضا جعل دمشق عرضة للضغط والخطر العسكري أكثر من أي وقت مضى، نتيجة استمرار حال الحرب وخروج القوات السورية من منطقة البقاع اللبنانية، ما يحول في المستقبل دون أي أمل بإمكانية لجوء دمشق إلى حل عسكري بشأن الجولان، بل تحول الوضع إلى خلاف ذلك تماما.

ويمتد سهل البقاع من المناطق المحاذية إلى حمص وحماة والمناطق الصناعية الشمالية في سوريا الى محاذاة دمشق حتى السفوح الغربية لجبل حرمون ومرتفعات الجولان المحتلة، وهو ما يجعله من الناحية العسكرية نقطة ضعف رئيسية لسوريا، وأيضا نقطة قوة في حال وجود عسكري فاعل للقوات السورية.

النقطة الثانية الرئيسية، هي إعادة فتح قضية المخيمات الفلسطينية عبر تكرار الكلام عن إمكانية استئناف الفلسطينيين للكفاح المسلح من أجل العودة عبر الأراضي اللبنانية في الجنوب. وكان الرئيس اللبناني إميل لحود قد أعلن مراراً أن السلطات اللبنانية لا تملك أن تمنع الفلسطينيين من التعبير عملياً عن اعتزامهم العودة إلى ديارهم المحتلة، مؤكداً حقهم في العودة وأثار هذا الطرح، في البداية، حماسة شديدة في المخيمات إلى درجة قيام المقاتلين الفلسطينيين برفع صور الرئيس اللبناني للمرة الأولى في المخيمات، وبات الكلام عن تدريب وإعداد المقاتلين الفلسطينيين إلا أنه في المقابل أثار المخاوف داخل المخيمات خصوصا في الجنوب من إمكانية تعرضها مجدداً للغارات الإسرائيلية، كما أنه أثار كلاماً حول الرغبة في استخدام الفلسطينيين وقوداً لأهداف سياسية سورية ولبنانية.

وكان لافتاً في الآونة الأخيرة تجدد اللقاءات بين المسئولين السوريين مثل وزير الدفاع مصطفى طلاس

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

والقياديين الفلسطينيين مثل جورج حبش، بعد أن تردد على لسان أكثر من مصدر سورى القول إن المقاومة ليست بالضرورة شيعية لبنانية، إذ يمكن أن تكون فلسطينية أو يسارية قبل الانسحاب المحتمل أو بعده.

إلا أن أشد ما أثار قلق الفلسطينيين فى المخيمات، الرسالة التى حملها الرئيس إميل لحود للمبعوث الدولى تيرى لاوسن لينقلها إلى الأمين العام للأمم المتحدة، والتى تضمنت رداً على كلام الانسحاب، أسئلة حول هل فى استطاعة الأمم المتحدة ضبط المخيمات أو نزع سلاحها أو منع محاولات

الفلسطينيين للعودة إلى ديارهم أو هل فى استطاعتها حل قضيتهم؟ إذ أن هذه الأسئلة أثارت القلق بين فلسطينيى المخيمات من خطة مقبلة محتملة لنزع سلاحهم وتقييدهم من دون أمل يذكر فى حل قضيتهم بالعودة.

وزاد الأمر تعقيداً، كلام الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات عن استعداده لحماية فلسطينيى لبنان فى مواجهة أى أخطار تحيق بهم فى لبنان، فى تصريح صور الوضع وكأنه على مشارف حرب مخيمات جديدة، وهو ما أعاد إلى ذاكرة اللبنانيين أشباح بدايات الحرب الأهلية التى تصادف فى ١٣ أبريل الذكرى السنوية الخامسة والعشرين لاشتعالها.

إلا أن الشىء الإيجابى الوحيد فيما حصل هو إعادة طرح قضية اللاجئين فلسطينياً وعربياً ودولياً، خصوصاً أن مصادر متعددة ربطت بين ما يجرى وبين تحرك كندا فى شخص رئيس وزرائها جان كريتيان على مستوى المنطقة، من أجل السعى لحل قضية اللاجئين، خصوصا أن كندا هى رئيسة لجنة المفاوضات متعددة الأطراف بشأن اللاجئين.

ووصل الأمر إلى حد تسريب أنباء - فى فرنسا - عن احتمال إقدام رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود باراك على تقديم عرض لحل مشكلة اللاجئين فى لبنان، بهدف سحب البساط من تحت أقدام السوريين واللبنانيين بشأن ورقة اللاجئين وتتوقع المصادر أن تشهد الأسابيع القليلة المقبلة خطوة إسرائيلية فى هذا المجال.

وفى المقابل فإن تصريحات عرفات بشأن المخيمات، أحدثت قلقاً شديداً فى أوساط اللبنانيين على خلفية الخشية من أن يدفع لبنان مجدداً ثمناً باهظاً لقضية اللاجئين الفلسطينيين بإعادة فتح الساحة اللبنانية على تدخلات من قوى إقليمية ودولية عدة للتصارع عليها. والأخطر من كل هذا هو خشية لبنان وسوريا من أن يكون الانسحاب الإسرائيلى مجرد تكتيك للعودة الإسرائيلية بزخم أقوى إلى لبنان. وهذا ما يفسر به الكثيرون التهديدات الإسرائيلية بأن إسرائيل سترد بقوة لا حدود لها على أى هجوم تتعرض له بعد الانسحاب.

وكان الرئيس لحود قد سأل مبعوث الأمم المتحدة عن قدرة المنظمة الدولية على حماية لبنان من الاعتداءات الإسرائيلية بعد الانسحاب يقول دبلوماسى أوروبى فى بيروت إن من حق إسرائيل الرد على أى هجوم تتعرض له بعد الانسحاب وهو يلخص فى ذلك موقفاً غربياً تماماً، بات مشتركاً بين غالبية العواصم الغربية، حتى فى فرنسا التى كان موقفها حتى الأسابيع الأخيرة متميزاً عن غيرها وتحديداً عن الولايات المتحدة.

ورداً على سؤال عن طبيعة الرد الإسرائيلى، يقول الدبلوماسى، إنه رد متعدد سوف يستهدف ضرب جميع منشآت ومشروعات البنية التحتية فى لبنان من جسور وطرقات وإمدادات كهرباء ومياه واتصالات وحتى بعض المصانع والمؤسسات الحيوية، وربما مطار بيروت وحتى المرفأ.

ويضيف: وقد يتضمن الرد السورى إضافة إلى ضرب تجمعات حزب الله ومؤسساته حتى الإعلامية، توجيه ضربات إلى الجيش اللبنانى والقوات السورية فى لبنان. وفى حال جرى الرد من جانب سوريا فإن إسرائيل قد تقدم على توجيه ضربات داخل الأراضى السورية.

ويضيف قائلا رداً على سؤال بأن ذلك يعنى الحرب الشاملة «إن إسرائيل نجحت فى قلب الصورة الدبلوماسية دولياً لصالحها والحل هو قبول لبنان بتحقق هدفه بالانسحاب الإسرائيلى وضبط حدوده».

لكن الا يبدو هذا السيناريو مبالغاً فيه كثيراً يقول الدبلوماسى الأوروبى إن لدى باراك مشروعاً كاملاً فى هذا المجال وهو يهدف أساساً إلى إنقاذ هيبة الجيش الإسرائيلى بالانسحاب من المستنقع اللبنانى، وفى حال تعذر ذلك فإنه عازم على إعادة الاعتبار للقوة العسكرية الإسرائيلية كونها الورقة الرئيسية فى التعامل على طاولة المفاوضات المقبلة.

أما بالنسبة إلى إمكانية حدوث حرب شاملة وتعرض إسرائيل للقصف الصاروخى، فيشير الدبلوماسى إلى أن إسرائيل أعدت نفسها قبل شهور بنشر صواريخ «آرو» المضادة للصواريخ وزيادة قواعد صواريخ «باتريوت» الأمريكية المماثلة وينشر مدافع خاصة مضادة لصواريخ الكاتيوشا ويضيف أن باراك يريد أن يذكر اسمه فى تاريخ إسرائيل على أنه الذى أنقذ الإسرائيليين فى المأزق اللبنانى، وفرض على سوريا والفلسطينيين تسوية مناسبة لإسرائيل.

ولا يستبعد الدبلوماسى الغربى أن يعمد الإسرائيليون مجدداً فى حال تعرضهم لهجمات عبر الحدود إلى العودة إلى لبنان وتوسيع الحزام الأمنى المحتل حتى منطقة الزهرانى، ما قد يعتبر فشلاً ذريعاً لكل من لبنان وسوريا.

وبالمقابل فإن سوريا تبدو فى مرحلة الاستعداد لمثل هذه الاحتمالات أساسا عبر خطوات ملموسة على الأرض فى إعادة نشر قواتها، بما يضعف من تأثير أى عدوان يضاف إلى تلك خطوة تتضمن إخراج قواتها من داخل بيروت إلى مواقع أشد أمناً، وقدرة على الرد.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

ويقول مصادر «حزب الله» في حال تعرض لبنان لعدوان واسع لديه قدرات كبيرة لمفاجأة إسرائيل سواء عبر استخدام كثافة نيران صواريخ عالية وقادرة نوعياً، أم عبر هجمات من نوع جديد.

إلا أنه وسط التوقعات المتزايدة بصيف حار للغاية في لبنان تشير بعض المصادر إلى إمكانية إعادة فتح المسار السوري من المفاوضات في خلال أسبوعين، وكانت الإشارة الأخيرة في هذا المجال ما ورد على لسان الدكتور بشار الأسد، ابن الرئيس السوري الذي قال في تصريحات له أخيراً إن الوقت لم ينفد بعد.. وباب السلام مازال مفتوحاً.

لكن السؤال هو كيف يمكن لذلك أن يتحقق، وما طبيعة المفاجآت التي تحملها الأسابيع المقبلة. وحتى حدوث ذلك، يبقى التوتر والقلق هما المسيطران على الساحة اللبنانية خصوصاً بين عموم اللبنانيين الراغبين في أن يتحول الانسحاب كما يقول الرئيس لحود إلى «عيد لهم» ■

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية